قمة بلا طعم

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لقد كان منتظرا ومأمولا أن تكون زيارة الرئيس عبدالفتاح السيسي الأولى للعراق والملك عبدالله بن الحسين، فرصة لتثبيت الموقف العربي الحازم والحاسم من الاحتلال الإيراني، والرفض الصريح لكل تعدياته على الحرية والكرامة والسيادة في العراق، وعبث ميليشياته بأمن الملايين العراقية، وبأمن دول الجوار.

خصوصا وأن الذي يستضيفهما هو رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي، العائد لتوّه من ديالى، بعد أن أدى فرائض الطاعة لجيش الحشد الشعبي وهو يستعرض، أمامه، دباباته ومدافعه وأسلحته المتطورة الأخرى التي أراد بها أن يُبلغ الجيش الوطني العراقي والقائد العام للقوات المسلحة والحكومة والبرلمان والقضاء باختفاء الدولة العراقية بعد مئة عام، بالتمام والكمال، من عمرها القصير.

ودون كلام كثير، إن هذه القمة ولدت ميتة، لأن أحد أضلاعها الثلاثة عاجز وغير مؤهل لمحاورتهما، ندا لند.

فالرئيس المصري عبدالفتاح السيسي يملك وحده الكلمة العليا في الدولة المصرية، ويَقدر، وحده، أن يناقش أي أمور سيادية عليا وكبرى مع نظرائه في الدول الأخرى، وأن يتخذ فيها القرار النهائي نيابة عن مئة مليون مصري، دون أن ينتظر موافقة دولة أخرى داخل الدولة المصرية أو خارجها. فليس في مصر حشد شعبي، ولا لمصر جارة كإيران.

والملك عبدالله بن الحسين، ملك الأردن، هو الآخر، صاحب قرار ومن صلاحياته أن ينوب عن الحكومة الأردنية، وعن البرلمان، والجيش، والشعب، وأن يتخذ القرار الذي يرى فيه مصلحة المواطن الأردني في حاضره وفي غده القريب أو البعيد.

هل هذه القمة جهدٌ مبيَّت ومدبر لفرض الحضن العربي على العراق فرضا ولانتزاعه من الهيمنة الإيرانية بقوة النفط والغاز والكهرباء والفواكه والخضار، أم هي موافقة ضمنية أردنية مصرية بتبعية العراق لإيران

أما الجالس في المقعد العراقي في قاعة الاجتماع، صاحبُ الوعود التي لا تنفذ والسياسات العشوائية الارتجالية، والشكوك التي تجعله واحدا من الولائيين المعتمدين لدى النظام الإيراني وميليشياته، فلا يصلح لأن يكون نائبا حقيقيا عن أربعين مليون عراقي، وقادرا على اتخاذ القرار الوطني المستقل، خصوصا إذا تضمنت الحوارات قضايا مصيرية عليا من مستوى توحيد المواقف من مسائل الأمن الوطني والقومي الأكبر من الربط الكهربائي، والأبعد من تبادل بعض المصالح الاقتصادية الأخرى. فليس مسموحا للجانب العراقي أن يتجاوز حدوده المرسومة بعناية.

ومن البيان الختامي الذي صاغه وأعلنه مكتب الكاظمي تبيّن أن القمة شغلت نفسها بالاقتصاد والقضايا الهامشية الأخرى، ولم تقترب من أصل المشكلة.

فهي لم تمس ملف الاحتلال الأجنبي للعراق، ولا وجود ميليشيات أقوى من جيش الدولة، ولا هيمنة إيران على مفاصل الدولة العراقية، ولا مشاركة ميليشيات عراقية مرتبطة بإيران في الحروب الجارية في سوريا ولبنان واليمن، ولا التدخل الإيراني في شؤون دول عربية حليفة لمصر والأردن، رغم أن هذه هي أهم الأخطار التي هدّدت وتهدد الأمن الأردني والمصري في الصميم، والأمن العربي القومي بشكل عام، ودون التصدي لها فإن أي قمة عربية ستكون فاشلة لا محالة، ولا داعي لعقدها.

وباستعراض البيان الختامي الذي تضمن 28 فقرة يتضح أن زبدة القمة تركزت في الفقرات المتعلقة بـ"تكامل الموارد وتوفير كافة التسهيلات الممكنة لزيادة حجم التبادل التجاري بينها، وتعزيز الجهود في المجالات الصحية والصناعية والدوائية". و"ضرورة تعزيز مشروع الربط الكهربائي وتبادل الطاقة الكهربائية بين الدول الثلاث، وربط شبكات نقل الغاز بين العراق ومصر عبر الأردن، وإتاحة منفذ لتصدير النفط العراقي عبر الأردن ومصر من خلال المضي باستكمال خط الغاز العربي، وإنشاء خط نقل النفط الخام (البصرة-العقبة)".

ومن الطبيعي والمنتظر والمتوقع أن إيران، وهي الحاكمة المطلقة في العراق، لا تمانع في إقامة مشاريع استثمارية من هذا النوع، أو تبادل خدمات أو بضائع بين دولة الحشد الشعبي وبين مصر، خصوصا إذا كانت تلك المشاريع تُؤمّن لها تحييد مصر في حربها المذهبية التي تخوضها مباشرة أو بالواسطة.

كما أن قمة بهذه المواصفات تنفع وكلاءها العراقيين، وتساعدها على إلهاء الشعب العراقي وصرف أنظار الغاضبين من شباب الانتفاضة عن المسائل الحيوية الأهم، من قبيل رفض الاحتلال ومواجهة الإرهاب الداخلي المتمثل في الاغتيالات والفساد، خصوصا في فترة الأشهر القليلة التي تفصلهم عن الانتخابات القادمة المتوقع أن تكون كسابقاتها غير صادقة وغير نزيهة.

يقول البيان الختامي لقمة (الشام الجديد) إن المجتمعين "أعربوا عن أهمية التنسيق الأمني والاستخباري بين الدول الثلاث لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة والمخدرات، ومواجهة كل من يدعم الإرهاب بالتمويل أو التسليح أو توفير الملاذات الآمنة والمنابر الإعلامية، مشدّدين على أهمية استكمال المعركة الشاملة على الإرهاب".

تُرى، إذا لم تكن إيران هي الداعمةَ الأولى للإرهاب، تمويلا وتسليحا، وبتوفير الملاذات الآمنة والمنابر الإعلامية، فمن تكون تلك التي يريدون مواجهتها إذن؟

شيء آخر. بمجرد انتهاء القمة رحّبت الولايات المتحدة بـ"الزيارة التاريخية" للرئيس المصري عبدالفتاح السيسي والرئيس الأردني الملك عبدالله الثاني إلى العراق، ووصفتها بـ"الهامّة التي تساهم في تعزيز الاستقرار الإقليمي".

ونسأل هل هذه القمة جهدٌ مبيَّت ومدبر لفرض الحضن العربي على العراق، فرضا، من أجل انتزاعه من الهيمنة الإيرانية بقوة النفط والغاز والكهرباء والفواكه والخضار، أم هي موافقة ضمنية أردنية مصرية بتبعية العراق لإيران، وقبول عملي مصري أردني بالتفاهم والتعاون وتبادل المنافع مع الدولة التي تحكمها الميليشيات وبمباركة أميركا وتشجيعها؟

هل جاء بايدن لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الإسلام السياسي؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لولا أن مصر فلتت يوم 3 يوليو/ تموز 2013 من مصيرها الإخواني لكان العالم العربي قد غرق كله في بحور لا تنتهي من الفوضى.

ألهذه الدرجة كان الموقف في مصر حساسا وحاسما؟

نعم. أهمية مصر على مستوى الأمن القومي العربي لا تُناقش وكانت من جهة أخرى العمود الفقري لما سُمّي بـ"الربيع العربي" الذي اتضح أنه عبارة عن مخطط قديم مرسوم بدقة لإحلال جماعات الإسلام السياسي محل الأنظمة الوطنية التي انتهت إلى الفشل بسبب انفصالها عن الشعب في أصغر متطلبات العيش التي يحتاجها للاستمرار صامتا.

في وقت سابق للربيع العربي احتاجت الولايات المتحدة من أجل إسقاط نظام صدام حسين إلى غزو العراق بعد أن جوّعت شعبه عبر حصار دولي غير مسبوق من نوعه في التاريخ طوال ثلاث عشرة سنة.

لم يكن في الإمكان إسقاط النظام الوطني العراقي وإحلال نظام شبه ديني تابع لإيران ومعاد للمحيط العربي إلا من خلال استعمال القوة المفرطة. هذا ما حدث. ويوم تمكنت الولايات المتحدة من إسقاط ذلك النظام سارعت إلى تحطيم الدولة العراقية وإلغاء الجيش العراقي لتعمّ الفوضى التي كانت غطاء لفتح الحدود العراقية وإدخال الميليشيات من إيران باعتبارها جزءا من المعارضة السابقة.

أما في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، فإن الحاجة إلى الغزو العسكري لم يكن لها ما يبرّرها. ذلك ما اعتقدته الجهات الخفية التي وقفت وراء الأحداث. لم تكن تلك التقديرات صائبة في كل مكان. غير أن ما جرى في تونس ومن ثم في مصر كان يتطابق مع الرؤية المصمّمة سلفا.

"الشعب يريد إسقاط النظام" لم يكن النظام قويا وكان الجيش على استعداد للتخلي عنه. هرب بن علي واستسلم مبارك. وفي الحالين كانت هناك خدعة تُرك الرئيس من خلالها وحيدا. أما في حالة القذافي فإن عدم استسلامه دفع حلف الناتو إلى التدخل وشنّ حربا جوية خاطفة على ليبيا انتهت بمقتل الأخ العقيد. ذلك سيناريو لم يتم تفعيله في حالة الرئيس بشار الأسد الذي أدرك أن جماعة الإخوان المسلمين إن لم تستلم السلطة في سوريا، فإن الغرب سيلجأ إلى الحل الليبي لذلك سارع إلى طلب النجدة من حليفه الروسي.

في اليمن لم تنفع فكرة الحرب الأهلية الرئيس علي عبدالله صالح ولم تنقذه من الموت. لقد قُتل من قبل أتباع إيران الذين حاول أن يستميلهم بعد عداء استمر سنينا.

بشكل عام لم تكن التجارب الثلاث الأخيرة (سوريا، ليبيا، واليمن) فاشلة بشكل مطلق. هناك نسبة من النجاح، كانت الفوضى التي ضربت البلدان الثلاثة مؤشرها. لكن النجاح في تونس ومصر لم يكن خالصا. فلتت مصر ولا تزال تونس تقاوم وإن كان الخطر لا يزال قائما وبدرجة عالية. غير أن الريادة تُحسب لمصر. ولو استعدنا تلك الأيام وبالضبط ذلك اليوم الخارق في التاريخ العربي المعاصر الذي خرج فيه المصريون تأييدا لإنهاء حكم الإخوان الذي استمر سنة واحدة لتذكرنا ذهول الإدارة الأميركية ورئيسها الإخواني باراك أوباما وعجزهما عن إخفاء مشاعر اليأس والغضب.

كان أوباما قد عمل وبشكل خفي على أن يكون تغيير الخارطة السياسية في العالم العربي واحدا من أهم إنجازاته وكان مشروع تسليم السلطة السياسية في العالم العربي لجماعات الإسلام السياسي قد انتظر باعتباره ملفا في الأدراج أكثر من ستين سنة ولم يكن تزامن ذلك الإجراء مع عقد الاتفاق النووي مع إيران قد جرى بالصدفة. كان الاتفاق صفعة موجهة إلى العالم العربي. لقد وفّرت الولايات المتحدة لإيران ما تحتاجه من أموال لتقوية شبكة ميليشياتها في المنطقة في ظل الظروف السيئة التي كان العالم العربي يعيشها.

ترامب يستحق أن يذكره العرب بخير، معه صار الحديث عن نهاية الإسلام السياسي ممكنا ربما يحاول الرئيس الأميركي الحالي أن يبث الروح في الإسلام السياسي غير أنه سيكتشف أنه جاء متأخرا

لم يفشل مخطط الربيع العربي بالرغم من أن جماعات الإسلام السياسي لم تستلم السلطة بشكل مطلق إلا في مصر ولمدة سنة واحدة. فالفوضى التي تهيمن على عدد من الدول العربية يُمكن الاستثمار فيها أميركيا حتى الآن وفي أي وقت.

كان الرئيس دونالد ترامب يكره سياسة أوباما ويكره جماعات الإسلام السياسي. لذلك لم يحظ ذلك المخطط "المشروع" باهتمامه بل إن ما فعله وبالأخص على مستوى الانسحاب من الاتفاق النووي وإدراج عدد من المنظمات والأحزاب في قائمة التنظيمات الإرهابية كان بمثابة إعادة الروح إلى الجسد العربي.

يستحق ترامب أن يذكره العرب بخير. معه وبعد ما فعله صار الحديث عن نهاية الإسلام السياسي ممكنا. ربما يحاول الرئيس الأميركي الحالي جو بايدن أن يبثّ الروح في الإسلام السياسي غير أنه سيكتشف أنه جاء متأخرا.

ليس لأن مصر خرجت من المعادلة فقط بل وأيضا لأن جماعات الإسلام السياسي فشلت عبر العشر سنوات الماضية في تقديم نموذج إنساني نزيه وعادل ورفيع المستوى وصادق ومستقيم ووطني.

كان الربيع العربي أشبه بحفلة أفاقين لصوص، فهل سيرغب بايدن في اللعب بينهم من أجل إنقاذهم؟

التحولات الدولية وتعقيدات الحرب اليمنية

صالح البيضاني
صحافي يمني

مثّلت التصريحات الأميركية التي أطلقها المبعوث الأميركي إلى اليمن تيم ليندركينغ والتي وصف فيها الحوثيين بأنهم "لاعب شرعي" في اليمن، نقطة تحول لافتة في موقف واشنطن إزاء الأزمة اليمنية والتي غلب عليها طوال الفترة الماضية الارتباك وعدم الفهم العميق لطبيعة الصراع اليمني في الكثير من الأحيان.

وبالرغم من تراجع وزارة الخارجية الأميركية خطوة إلى الوراء من خلال إصدار بيان توضيحي يؤكد التزام واشنطن بمواقفها المعلنة تجاه الحكومة الشرعية كطرف شرعي وحيد يمثل الدولة اليمنية، إلا أن التوضيح ذاته حمل إشارات عن استراتيجية الإدارة الأميركية الجديدة والتي تقوم على سياسة إغلاق الملفات والتعامل بواقعية مفرطة مع المعطيات على الأرض.

ومن أبرز الرسائل التي يمكن التقاطها من تصريحات المبعوث الأميركي إلى اليمن وتوضيح وزارة الخارجية تعقيبا على ردود الأفعال التي جاءت عقب التصريح، أن واشنطن لا يمكن أن تمضي قدما في التورّط في الحرب اليمنية، في الوقت الذي تسعى فيه حثيثا لإغلاق ملف تورّطها في أفغانستان وصولا إلى رغبتها في التوصل إلى اتفاق جديد مع النظام الإيراني حول الملف النووي لا يبدو أنه يراعي كثيرا مصالح حلفاء أميركا في المنطقة.

وما يحدث اليوم من تداعيات في مسار الأزمة اليمنية، ليس مفاجئا على الأرجح، فقط تحدثت تقارير وتسرّبت الكثير من المعلومات في أواخر عهد الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، تحمل تحذيرات بأن التأخر في تغيير المعطيات العسكرية على أرض اليمن وانتظار وصول إدارة جديدة للبيت الأبيض قد يحملان في طياتهما تحولا في الموقف الدولي إزاء الحرب التي يراد لها اليوم أن تتوقف بأي شكل ووفقا لأي نتائج، انطلاقا من دواعٍ إنسانية في الظاهر ورغبة في تقديمٍ هذه الخدمة كتضحية في سبيل نجاح مفاوضات فيينا حول الاتفاق النووي مع طهران.

وقد أدرك التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية، خطورة التحولات الإقليمية والدولية المتسارعة التي يمكن أن تعصف بالملف اليمني، وهو ما دفع الرياض إلى عقد جولات من الحوار بين الأطراف التي تجتمع في مناهضة المشروع الحوثي، وتحديدا الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي الجنوبي. لكن تلك المساعي التي كانت تهدف إلى تقوية معسكر المناوئين للحوثي اصطدمت بالعديد من العقبات في ظل حالة من انعدام الثقة والتباين الأيديولوجي الذي عززته قوى إقليمية وعملت على تغذيته بهدف تقديم خدمة مجانية للمتمرّدين الحوثيين الذين التقطوا إشارات التحولات الدولية وألقوا بكل ثقلهم العسكري في الجبهات لتكريس سياسية الأمر الواقع التي عملوا على أن تكون ورقتهم الرابحة في مواجهة ورقة "الشرعية الدستورية" التي تمتلكها الحكومة اليمنية والتي لم تستطع أن ترفدها بانتصارات ميدانية على الأرض تعزز من حظوظها في مشاورات الحل النهائي التي يعمل عليها المبعوثان الأممي والأميركي إلى اليمن وتصطدم بعقبتين رئيسيتين اليوم.

العقبة الأولى تتمثل في شعور الميليشيات الحوثية بنشوة القوة وقدرتها على استغلال حالة الارتباك الدولي وتوظيف الصراع داخل بنية الشرعية، إضافة إلى جموحها نحو تحقيق انتصار خاطف في معركة مأرب الاستراتيجية وبأي ثمن، قبل الدخول في مشاورات يبدو أن نتائجها ستعكس موازين القوة على الأرض وليس في أضابير القرارات الأممية.

أما العقبة الثانية برأيي، فتتمثل في رفض الحكومة الشرعية المعترف بها دوليا تقديم أي تنازلات إضافية، عدا تلك التي قدمتها على مذبح الجهود الأميركية والأممية التي أفضت في نهاية المطاف إلى إنتاج خطة لوقف إطلاق النار تلبي أبرز مطالب الحوثيين خلال السنوات الماضية والذين تعاملوا مؤخرا مع تلك التنازلات السياسية كمكتسبات لم تعد تلبي طموحاتهم المتصاعدة وتشبع نهمهم السياسي.

وبينما تتكئ الحكومة الشرعية اليوم على قائمة من القرارات الصادرة عن مجلس الأمن ومن أبرزها القرار 2216، يستمر الحوثيون في ممارسة لعبتهم المفضلة في تبادل الأدوار بين جناح عسكري يواصل هجومه على مأرب، وجناح سياسي يبدّد الوقت ويتلاعب بالوسطاء ويستغل التناقضات الدولية إزاء الحرب اليمنية.

وفي ظل هذه التعقيدات التي أفرزت معسكرين، الأول للشرعية يخوض صراعا داخليا بين أطرافه، ويراهن على شرعيته كطرف معترف به دوليا، أما الثاني فهو معسكر الحوثي المنقسم في الظاهر بين أجندتين عسكرية وسياسية غاية في الانتهازية والقدرة على التلاعب بالوسطاء والخصوم، لا يبدو أن الرهان على المجتمع الدولي بات أمرا يستحق الركون عليه كما تقول الوقائع والتطورات المتسارعة، ما لم تنتج تفاعلات جديدة على الأرض تخلق في نهاية المطاف، كما يأمل المجتمع الدولي، طرفا قابلا للتطويع وتحمّل تكاليف خسارة الحرب لصالح طرف آخر ليس لديه ما يخسره وليس لديه ما يمكن تقديمه من تنازلات في نفس الوقت. وهي المعادلة التي لا يبدو أنها مكتملة اليوم وكاملة العناصر في مشهد شديد التعقيد يمتزج فيه السياسي بالعقائدي بالجهوي، ولم تنضج فيه بعد أيّ من شروط الحرب أو السلام أو حتى الاستسلام.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk